## تقديم :

على الرغم من ان علماء الاجتماع، تحدثوا كثيرا و مطولا عن " المؤسسات الاجتماعية" les institutions sociales" ، فان هذا المصطلح يفتقد الدقة و التوحد في الاستعمال و الدلالة. و يجري تطبيق المصطلح بوج عام على مظاهر من السلوك الاجتماعي ، تنظمها معايير و قيم وقوانين تتصف بالرسوخ القوي، و سهولة التعرف عليها، و الثبات النسبي . و الحق ان بعض علماء الاجتماع قد استخدموها لرسم صور توضح اليات انتاج المعايير و القيم و القوانين اكثر من كونها نماذج للسلوك الفعلي.

لكن الملاحظ و المتفق عليه بين اغلب المشتغلين بعلم الاجتماع ، ان هناك ادلة و مؤشرات على ان جميع المجتمعات يمكن ان تحلل إلى مجالات مؤسسية يسهل تناولها، مثل الاسرة، القرابة، الحزب ، و مختلف المؤسسات الاقتصادية و السياسية، و الثقافية، وتحديد الشرائح الاجتماعية التي تندرج ضمنها من حيث المكانة و الدور و تمظهر المشهد الاجتماعي . و لكن كلمة المؤسسة غالبا ما تستعمل لدى بعض المشتغلين بدلالة واسعة و شائعة حتي يصعب تمييزها عن دلالات المنظمة، المنشاة.

و عليه سوف يكون الهدف من دروس هذه المادة هو تقديم مختلف التحليلات السوسيولوجية النظرية التي تناولت موضوع المؤسسة . و التي احالت بشكل او اخر إلى الانماط الرسمية و غير الرسمية الخاصة بالتنسيق ، اتخاذ القرار و مختلف الترتيبات الناظمة للممارسات و الحياة الاجتماعية . متخذين في ذلك سبيل الاستكشاف النظري و المفاهيمي لمختلف المقاربات السوسيولوجية التي تناولت المؤسسة كموضوع للبحث. او كمتغير من متغيرات تفسير احدى تمظهرات الحياة الاجتماعية. لكي نستطيع بشكل اكثر فاعلية فهم تعدد و دينامكية مختلف الاشكال المؤسساتية المتواجدة في المجتمع. و بتالي فهم المواضيع الكلاسكية المرتبطة بعلم الاجتماع عموما مثل السلطة، الهيمنة، الضبط الاجتماعي، اللامساواة، التغير الاجتماعي ، القيم ....إلخ.

ستتضمن الدروس في المرحلة الاولى لمحة عن الأفكار النظرية العامة حول المؤسسات. سنناقش أولاً دلالة و رؤية المشتغلين الكلاسيكيين للمؤسسة ، مثل توكفيل، ماركس، مدرسة شيكاغو، دوركهايم ، فيبر، ماري دوغلاس . و هي مرحلة مهمة لكي يتمكن الطالب من معرفة أسس المقاربات النظرية الرئيسية التي اتخذها المشتغلين اللاحقين مرتكزا في دراستهم للمؤسسة. ثم نتطرق بعد ذلك إلى تطور علم اجتماع المؤسسات خلال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، حيث سوف نعرض اهم التعريفات الأنطولوجية الخاصة بماهية وإشكالية مفاهيم المؤسسة عند ترنر ،بورديو ، غوفمان و بودن . و نختم بعرض مفصل و مصنف لمختلف المقاربات النظرية للمؤسسة، المقاربة البنيوية، المقاربة الوظيفية، المقاربة البنيوية الوظيفية و أخيرا المقاربة الانثربولوجية .

في المرحلة الثانية سوف نتطرق لاهم المحاور الموضوعاتية بشأن مختلف أبعاد الحياة المؤسسية. وسنكرس جزءا هاما لمناقشة اثار و مفاعيل المؤسسة على المجتمع ككل . كما سنناقش مواضيع الاستقلالية ، و الشرعية و الاحتكار و التمثيل من خلال تفكيك مفهومي المكانة و الدور، من خلال هذا العرض المواضيعي thématiques ، سوف نولي اهتماما خاصا لدور المعايير وعلاقات القوة والهيمنة وشرعية الممارسات واليات إضفاء الشرعية عليها. سوف نحاول تقديم فهم و شرح لاليات اشتغال المؤسسة، فهم للاستراتيجيات التي يتبناها الفاعلون لتشكيل المؤسسات وفق مصالحتهم ووفقًا لإرادتهم، مع السعي لفهم طبيعة البعد المؤسسي الذي يحد من قدرة كل فاعل على تحويل المؤسسة لأداة شخصية.

## 1-ماهية المؤسسة:

على خلاف ما هو مشاع، يختلف مفهوم "المؤسسة " institution عن مفهوم المقاولة Entreprise ، فالمؤسسة اعم و اشمل من المقاولة ، ففي الاصطلاح اللغوي ، كلمة مؤسسة هي اشتقاق من جذر"ؤسس " "الأُسُّ والأَسَس والأَساس : بمعنى كل مُبْتَدَإِ شيءٍ[1]. والأُسُّ والأَساس :أَصل البناء، والأَسَسُ مقصور منه، وجمع الأُسِّ إِساس مثل عُسّ وعِساس، وجمع الأَساس أُسس مثل قَذال وقُذُل، وجمع الأَسَس آساس مثل سببٍ وأَسباب. والأَسيس: أَصل كل شيء.وأُسّ الإِنسان: قلبه لأَنه أَول مُتَكَوّن في الرحم، وهو من الأَسماء المشتركة.وأُسُّ البناء: مُبْتَدَؤُه؛ وأُسُّ الإِنسان وأَسُّه أَصله، وقيل: هو أَصل كل شيء.

اما في اللغة الفرنسية فكلمة institution هي اسم مؤنث مشتق من فعل d'instituer الذي هو بدوره اشتقاق للكلمة اللاتنية instituo المختزلة لفعل in instituo و التي تدل على " انشاء " "تنصيب" ، وان تستعمل للدلالة على عدة اوضاع او كيانات ذات الطابع الاجتماعي . لكن عموما تستعمل للدلالة على بنية structure اجتماعية رسمية او غير رسمية منتظمة ضمن قواعد متفق عليها يكون الهدف منها تنظيم السلوكات بما يخدم تحقيق غاية([2]).

و بالتالي فان كلمة "المؤسسة" تحيل إلى دلالة التأسيس institutionnalisation لنظام معين او بنية معينة او كيان معين له قواعد خاصة يسمى بعد ذلك بالمؤسسة، و منه حسب " فيرجيني تورني" V.Tournay هي : " العملية التي غايتها تحقيق كيان او بنية له استقرار و ثبات زمني معين، بدون نفي امكانية حصول تغيير كلي أو جزئي في بنائها "[3] .

---

1 - جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، دار صادر: بيروت، ط3، 1999، ج10، مجلد1.

2 - Georges Renard, Essai d'ontologie juridique, Premier volume – partie juridique,Ed , Librairie du recueil Sirey Paris , vol. I, 1930.p 15 .
https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k311568r/f59.item

3 - Tournay Virginie : Sociologie des institutions, Ed PUF, Paris coll. « Que sais-je ? », 2011. P03.

و منه يمكن القول ان الدلالة اللغوية لا تعتبر المؤسسة ككيان مكتمل البناء و انما هي عملية بناء مستمر و دائم ، وهذا معناه ان المؤسسة ليس لها حدود معينة. و انما هي كيان مرن يبنى و يؤسس وفق القوى التي هي بدورها تتغير.

هذه الدلالة انتجت عدة صعوبات ابيستمولوجية حول تحديد مفهوم للمؤسسة في العلوم الاجتماعية عموما، و لعل هذه المرونة هي التي جعلت من كلمة "المؤسسة" ذات استعمالات متعددة و في بعض الاحيان متناقضة سواء بين مختلف التخصصات او في التخصص الواحد ،و هو حال علم الاجتماع. ففي علم الاجتماع بالرغم ان هناك اتفاق ضمني حول خاصية التجمعات البشرية و قدرتها على المأسسة " l'institutionnalité" كألية للتنظيم و الانتظام، الا ان هناك اختلاف كبير بينهم فيما يخص أولا عمليات التأسيس ،ثانيا المؤسس institué و ثالثا المؤسس l'instituant و رابعا الواقع المؤسساتي.

و لتفسير هذا الاختلاف تصرح " فيرجيني تورني" ان هذا الاختلاف راجع إلى ان مصطلح " المؤسسة " هو مصطلح ظهر في القرن 17 عند الحقوقيين و السياسيين و تم استعارته من طرف السوسيولوجيين في القرن 19 بدون تمحيص او اخذ بعين الاعتبار لخطورة تبني مصطلح ذو دلالة مطاطية و متعددة. [4] ففي علم الاجتماع يدل مصطلح " المؤسسة " على : اجهزة organes بنى structures و انساق systèmes التي هي تحيل إلى كل علاقة او تنظيم اجتماعي يشتغل وفق قواعد ثابتة، شرعية، و ملتزمة, يسميها "بودون" بوكالات المجتمع [5]. و هكذا تم نقل مصطلح "المؤسسة" من الحقل الحقوقي و السياسي الذي له دلالة نظام معياري مكون من قواعد مشكلة و تمثل مجسد هو ( الدولة) ، إلى علم الاجتماع بدلالة اكثر اتساعا لكل اشكال الانتظام او التنظيم الاجتماعي له خاصية الالزام لأعضائه بتطبيق و ممارسة القواعد الخاصة به.

ومنه فـ"المؤسسة" التي تعرف على هذا النحو يمكن أن تكون أحيانا تجمعا رسميا أو تنظيما لجماعة انسانية. ولكل مؤسسة جانبين لا ينفصلان، وهما وجهان لعملة واحدة، المؤسس l'institué و المؤسس l'instituant . يقدم المؤسس l'institué نفسه كنظام موضوعي اجمالا لقواعد الممارسة، السلوك ، الفعل ، بحيث يستمد مبرره او شرعيته من خلال المعتقدات ، مرجعيات معترف بها او قيم عليا. هذا المؤسس institué لا يدرك على أنه مجرد شيء، بل هو نتيجة لاشتغال المؤسسة او لسيرورة المأسسة التي تتمظهر من خلال ممارسات/ طقوس المؤسسة instituantes ، و التي يمكن ان تكون على شكل لتشريع لقواعد او قوانين ، قرارات سلطوية لنبي ، لملك لرئيس او قائد .... ، او التزام جماعة او شعب بنشاط معين .

**4** - Ibid . P 4.

**5** - Raymond Boudon et François Bourricaud, Dictionnaire critique de sociologie, 4eme, PUF .2011, p. 328

هذا يعني أنه، وفقا لطبيعة المجتمعات واللحظات التاريخية لتطورها ، تتشكل المؤسسة تبعا لعلاقات متعددة و متباينة بين القواعد و المعتقدات المدعمة لها من جهة و بين القوى ( داخلية / خارجية) المحولة او المغيرة للمارسات من جهة أخرى . او بمعنى اخر بين المؤسس l'institué و المؤسس l'instituant .

وفق هذا المعنى فان كل ممارسة اجتماعية مهما كانت هي مؤسسة instituée و فقا لإرادة و قوة القوى المؤسسة instituante.([6]) و منه فان المؤسسات الاجتماعية تتعدد بتعدد الممارسات الاجتماعية، أي انه على خلاف الفهم السياسي و القانوني للمؤسسة، يدخل في اطار فهم علم الاجتماع للمؤسسة كل الاشكال الوجودية للمجتمع ، فاللغة مؤسسة، و الفكر مؤسسة، و الثقافة مؤسسة، .....إلخ.

### 1 – 1 المؤسسة في علم الاجتماع :

المؤسسة بالنسبة "لإميل دوركايم" Émile Durkheim هي الموضوع الذي يسمح لعلم الاجتماع ان يكون مستقلا " فعلم الاجتماع هو علم المؤسسات، انبثاقها و الية اشتغالها" [(7)]، فهي نظام مركب من المعايير الاجتماعية المتكاملة المنظمة من أجل المحافظة على قيمة اجتماعية أساسية[(8)]. و هو التعريف الذي اعتمد لمدة طويلة من طرف المشتغلين بعلم الاجتماع، وهكذا يستخدم علماء الاجتماع مصطلح المؤسسات ليصفوا النظم المعيارية التي تحدد السلوك الاجتماعي في خمسة مجالات حياتية أساسية[(9)] .يطلق على هذه المجالات المؤسسات الاجتماعية الأساسية وهي :نظام القرابة والأسرة، مجال السلطة والقوة الشرعية والنفوذ وهو المجال السياسي، مجال إنتاج وتوزيع السلع والخدمات وهو المجال الاقتصادي، مجال نقل المعرفة من جيل إلى آخر وهو التعليم، وأخيرا مجال تنظيم العلاقة مع عالم الميتافيزيقيا أو عالم ما وراء الطبيعة وهو المجال الديني .

و المؤسسة في الفهم السوسيولوجي غير عبثية، فهي تتواجد في جميع المجتمعات والجماعات البشرية، مهما كانت درجة تطورها الحضاري، و هذا يدل على أنها عميقة الانغراس في الطبيعة البشرية، كما أنه لا يمكن الاستغناء عنها لما تقوم به من وظائف ضرورية لنمو المجتمع والمحافظة على النظام والاستقرار الاجتماعي .من خلال نظام معياري يربط الفرد بالثقافة الأكبر، ويقوم هذا النظام المعياري بإشباع الحاجات المجتمعية الأساسية. و لكن هذا لم يمنع من تعدد التعريفات الخاصة بالمؤسسة تبعا لتعدد الأطر النظرية و هي كالتالي:

**اولا / تعريف ايميل دوركايم** Émile Durkheim :

---

**6** - Laval, Christian. « Le destin de l'institution dans les sciences sociales », Revue du MAUSS, vol. 48, no. 2, 2016, p. 277.

**7** - Émile Durkheim, Règles de la méthode sociologique, Ed P U F . 2013. P 52.

**8 - جامع محمد نبيل : علم الاجتماع المعاصر ووصايا التنمية، الإسكندرية . دار الجامعة الجديدة**. 2010. ص 01.

**9 - شتا السيد علي : المنظور الظاهري و التنظيم الاجتماعي للمجتمع . المكتبة المصرية . الاسكندرية** . 2000 **ص** 130 .

يرى "اميل دوركايم" ان المؤسسة هي واقعة انسانية و اجتماعية مبدئية ، و بذلك فهي الموضوع المميز و المركزي في العلوم الاجتماعية([10]). يستند هذا التعريف إلى سمة عامة و مشتركة للمجتمعات البشرية، وهي استقرار أطر الفعل وفئات الفكر التي تفرض على الأفراد. و هو ما يتوافق مع تعريفه للمجتمع " هو مجموعة من التصورات المشتركة، وأشكال السلطة والفعل و العادات الجماعية السابقة لوجود الفرد و المحددة لطريقة تصرفه، شعوره، تفكيره. معتقداته الدينية ، لغته نظام علاقاته . باختصار، علم الاجتماع عند "دوركايم " يجعل من المؤسسة قاعدة و شرط الحياة الاجتماعية. وفق هذا الطرح وضع "دوركايم " التعريف التالي للمؤسسة "مجموع الأفعال أو الأفكار المؤسسة institué التي يجدها الأفراد أمامهم وتفرض عليهم بشكل من الاشكال"[(11)]. و منه المؤسسة بالنسبة له هي واقعة اجتماعية قبلية للأفراد، وهي تمارس نفوذ اكراهي على الافراد بدون شرط ان يكون واعين بتلك السلطة و النفوذ. " "فالمعتقدات والممارسات التي ورثناها عن الأجيال السابقة ، نقبلها و نتبناها بدون أي مقاومة لأنها في الحقيقة نتاج عمل جماعي عريق ، اكسبتها التربية سلطة مميزة تدفعنا لنتعرف عليها ونحترمها باسم الواجب مرة و باسم الضرورة مرة اخرى". [(12)] ، "إنها بالضرورة لها أثر تثبيت ، التأسيس بدون ارادتنا لطرق معينة للتصرف و الحكم ، فهي خارجة عن إرادة الافراد و مستقلة عنهم . وكما أشرنا سابقا ، هناك كلمة واحدة ، إذا ما تم تمديد المعنى الاعتيادي قليلا، تعبر بشكل جيد عن هذه الطريقة التي تكون فيها خاصة جدا: هي كلمة المؤسسة"[(13)]. فالمؤسسة هي طريقة الحياة الاجتماعية المبلورة cristallisée ، التابثة ، المستقرة. انها واقعة اجتماعية fait social .

**ثانيا / تعريف ماكس فيبر** Max Weber:

بالرغم ان "ماكس فيبر" لم يستعمل مصطلح " المؤسسة" institution بشكل صريح في مؤلفاته المختلفة، إلا ان الفضل يعود له في نقل دلالتها من الحقل السوسيو انثربولوجي الأكثر اتساعا إلى فهم محدد المعالم و الغايات، باعتبارها "تجمع عقلاني" ليميزها عن الأشكال الأبسط من الكيانات الاجتماعية مثل الأعراف والمواثيق والمعايير الاجتماعية والأدوار الاجتماعية والمراسيم أو الشعائر أو الطقوس إذ أن هذه جميعا ما هي إلا مكونات تدخل في بناء المؤسسات الاجتماعية. و في نفس الوقت عن الكيانات الأكثر تعقيدا مثل المنظمات والتنظيمات التي تكون المؤسسات الاجتماعية جزءا منها. لقد اعطى " ماكس فيبر" للمؤسسة دلالة أداتية باعتبارها ترتيب عام للأشكال الاجتماعية. و بالأحرى كحاويات لمجمل الافراد و الوسائل

**10 -** Laval, Christian. « Le destin de l'institution dans les sciences sociales », Revue du MAUSS, vol. 48, no. 2, 2016, p. 278.

**11 -** Paul Fauconnet et Marcel Mauss, « Sociologie : objet et méthode » : cet article, extrait de La Grande Encyclopédie (Paris, vol. 30, 1901, p 165.

**12** - Emile Durkheim , Les Règles de la méthode sociologique. Ed Champs Flammarion, Paris1988. P 103.

**13** - Ibid .P 107.

المسخرة لغاية معينة . ففي مقاله عن مهنة و مسعى السياسي لم يتوانى ابدا في تسمية الاحزاب، النقابات، الجمعيات بـ " المنظمات السياسية".

" ماكس فيبر" يعتبر ان المؤسسات هي منظمات عقلانية لها اهداف معينة، ففي الفصل الاول من كتابه " الاقتصاد و المجتمع " يستعمل نفس دلالة المقاولات الصناعية d'entreprise في تعريفه للدولة، للأحزاب السياسية،الجمعيات، الكنيسة و الجامعة، "فالمؤسسة مثلها مثل الجمعيات، و المقاولات الصناعية، الاعلام، و الجامعة تشترك في خاصية واحدة هي التنظيم المحدد للمكانات سواء الداخلية او الخارجية للمنظمة" [14] أي ان المؤسسات تقوم بتنظيم الصلات الاجتماعية، اما المأسسة d'institutionnalisation فهي سيرورة التي تهدف إلى تنظيم تلك الصلات الاجتماعية وفق نماذج الاجتماعية المتفق عليها.

**ثالثا / تعريف ماري دوغلاس** Mary Douglas :

ترى "ماري دوغلاس" ان المؤسسة هي كيان رمزي، يحمله الافراد و يقومون بنقله للأجيال اللاحقة، فهي تجميع للبنى الرمزية الخاصة بمجتمع ما، وظيفتها هي اعطاء معنى لوجودهم، و سمة تميزهم عن باقي الجماعات او المجتمعات الاخرى ، فعندما تتأسس المؤسسة فأنها :" تباشر بعد تأسيسها في تنظيم ذاكرة أعضائها؛ انها تجبرهم على نسيان التجارب التي لا تتفق مع الصورة الفاضلة التي تعطيها لنفسها، وتذكرهم بالأحداث التي تدعم رؤية للعالم مكملة لنظرتها الخاصة. كما أنها تزودهم بفئات من الفكر، تكون اللبنة الأولى لوعيهم الذاتي وتثبت هويتهم. ولكن كل هذا لا يكفي. يجب عليها أن تعزز الصرح الاجتماعي من خلال ترسيخ مبادئ العدالة"[15].

**رابعا / تعريف افرينغ غوفمان** Erwing Goffman:

بالنسبة لـ "غوفمان" مصطلح المؤسسة يحيل لمختلف التنظيمات الاجتماعيّة. فهي تلك الأماكن مفتوحة أو مغلقة. التي تنتج التصنيفات المميزة بين من هم خارجها و من هم بداخلها. بعد دراسته لمشفى الامراض العقلية ابتدع مفهوم المؤسسات الشاملة ليفسر خاصية الانغلاق للافراد الذين ينتمون للمؤسسات، "فهي مكان للإقامة والعمل حيث عدد كبير من الأفراد يعيشون في نفس الظروف والعزلة عن بقية المجتمع لفترة طويلة من الزمن تؤدي بهم إلى ان يعيشوا نوعا من الحياة القسرية و المضبوطة.

**14 -** WEBER Max. (1995), *Économie et société*, T.1, Éd Plon Agora. Paris.1995. pp. 94-95.

**15 -** Douglas Mary, *Comment penser les institutions*, Ed. La Découverte, Paris. 2004.P 128.

(...) يضطر المنعزل مكرها على موائمة أصغر تفاصيل نشاطه مع تنظيم وتقدير سلطة المؤسسة"([16]) . و بذلك فهو على خلاف التعريفات السابقة الشمولية يرى ان المؤسسة هي كيان جزئي يتميز بهامش من الحرية و الاستقلال تتيح له القدرة بفعل السلطة الخاصة به ان ينتج نسق معياري و نموذج خاص به و يختلف عن باقي المؤسسات.

**خامسا / تعريف جوناتان ترنر** Jonathan Turner

يرى أنها مركب (أو نظام) من المراكز والأدوار الاجتماعية الكائنة في بنى اجتماعية خاصة وتقوم بتنظيم أنماط من الأنشطة الإنسانية الثابتة نسبيا والمرتبطة بالمشاكل الأساسية الخاصة باستدامة واستمرار موارد الحياة واستمرار الجنس البشري والمحافظة على استقرار البنى الاجتماعية الحيوية في إطار بيئة معينة"[(17)]

**سادسا /تعريف بيار بورديو** Pierre Bourdieu

يعتقد "بورديو" ان " المؤسسة" هي الية للهيمنة، و لشرعنة الهيمنة باسم الضرورة او بعدم وجود البديل ، و بذلك فالمؤسسة تعيش و تستمر بترسيخ افكار عنها وعن وجودها و عن وظيفتها من خلال انتاجها لنسق من القيم، التمثلات، الاساطير و ترسيخها في عقول الافراد بالشكل الذي يجعل لها معنى مدمج في ممارساتهم ( الهابيتوس) "ولأنها تتويج لعملية تأسيس لها (...) وفق بنى عقلية موائمة مع بنيتها هي ، فإن المؤسسة التي تم تأسيسها تجعلنا ننسى أنها نتيجة سلسلة طويلة من الافعال المؤسسة d'institution وتقدم نفسها بكل مظاهر العادي و الطبيعي . و لكن يمكن الجزم بدون ادنى شك انها ليست بأداة او وسيلة الأكثر قوة و قدرة على القطيعة مع ظروف نشأتها ، فالمؤسسة تعيد دوما إعادة نفس ظروف نشوؤها ، ظروف الصراع و المواجهة و في نفس الوقت تقوم بتحيين و احياء دوافع وجودها بشكل اخر و مغاير ، و بذلك فان المؤسسة بفعل برجماتيتها تعيد انتاج تحقيق ما لا يعتبر ممكنا ، انه اختفائها"[(18)].

**سابعا / تعريف ريمون بودون** Raymond Boudon:

لم يهتم " ريمون بودون" كثيرا بالمؤسسة ككيان، و انما اهتم بها من خلال اثرها و مفاعيلها الاجتماعية، فهو يرى أن " المؤسسة تلائم بشكل ممكن لفعل تركيبي وادماجي لأفعال و نويا الافراد "[(19)] ، و بتالي فهي تخضع بشكل او باخر إلى إرادة الافراد و نواياهم المنتظمة ضمن بنية تتحدد تبعا للتحكميات و

**16 -** Goffman Erving, *Asiles. Etudes sur la condition sociale des malades mentaux et autres reclus*, Ed . Minuit, Paris, 1968 41, 81

**17** - Rocher Guy**,** introduction à la sociologie générale . 2 l'organisation sociale ; éd HMH Canada 1996. P 31.

**18** - Bourdieu Pierre, Raisons pratiques, Ed . Le Seuil, Paris 1994, P 107

**19-** Raymond Boudon et François Bourricaud, Dictionnaire critique de sociologie, Ed PUF. Paris 1982. 328.

الاتفاقات الممكنة التي تحصل بينهم،" المؤسسة ليست بالضرورة نتاج تجمع و توافق سلس و عفوي للإرادة الافراد، و انما هي نتاج لإدراك عقلاني قيمي لضرورة توافق و خضوع الجميع لبنية قيمية تضمن مصالح فردية و جماعية من خلال ارتباطها( البنية) بما يعتبر عادلا و شرعيا "[20].

**خلاصة العنصر:**

| | |
|---|---|
| **ايميل دوركايم** | المؤسسة مزودة بوجود مستقل، هي توجد خارج الافراد |
| **ماكس فيبر** | المؤسسة تنبثق لانتظام الصلات الاجتماعية التي تجمع الافراد |
| **ماري دوغلاس** | المؤسسة هي تجميع لبنى رمزية |
| **افرينغ غوفمان** | تفرض المؤسسة معايير يكيف عليها الأفراد وجودهم وإن كانوا يعترضون عليها |
| **جوناتان ترنر** | المؤسسة هي مركب لمجموعة من الأدوار المنمطة وفق اهداف حيوية |
| **بيار بورديو** | المؤسسة هي سيرورة لتجسيد وصناعة الهابيتوس . |
| **ريمون بودون** | المؤسسة هي نتاج لتجانس أفعال و نوايا الافراد. |

ما يمكن استخلاصه من التعريفات السابقة ان مفهوم المؤسسة في علم الاجتماع يمكننا تلخيصه في ثلاثة نظرات هي :

- النظرة الأولى للمؤسسة وهي الخاصة بالمقاربات السوسيوانثربولوجية ، هذه النظرة تتناغم مع فهم "دوركايم" و "ماري دوغلاس" وتوحي أن المؤسسة هي شكل او بناء اجتماعي مؤسس و يشتغل بصيغة نظامية و يستجيب إلى طلب جماعي لمجموعة اجتماعية ما.
- النظرة الثانية للمؤسسة توجد في المقاربات البراغماتية وتعطي وصفا أكثر محدودية للمؤسسة، تتناغم مع الطرح الفيبيري، الذي يرى المؤسسة كتنظيم عقلاني غائي.
- النظرة الثالثة للمؤسسة نجدها في المقاربات القيمية و التفاعلية، و تقدم المؤسسة كألية للتنظيم و الترتيب الصلات الاجتماعية وفق رؤية معينة و محددة بسلطة رمزية او مادية.

**20** Raymond Boudon, Théorie du choix rationnel ou individualisme méthodologique? Sociologie et sociétés. Volume 34, numéro 1, printemps 2002 .PP 9 – 34.

**1 – 2 حوصلة مفاهمية حول المؤسسة و المفاهيم المجاورة لها في علم الاجتماع :**

يرتبط مفهوم المؤسسة - كمفهوم سوسيولوجي - بالعديد من المفاهيم المجاورة أو المماثلة، ومن أبرزها مفاهيم: "البنية" (Structure)، و "التنظيم" ((Organisation، و "النسق" (Système). وبالرغم من كون هذه المفاهيم كلها تستخدم للتعبير عن نفس الظاهرة: أي مجمل البنيات والهياكل والأطر الاجتماعية المنظمة (مقاولة، مصنع، مدرسة...الخ)، فإنها تفترض، على مستوى المقاربة والفهم، مجموعة متعددة، متكاملة ومتباينة أحيانا، من النماذج التحليلية أو النظرية. وذلك بكل ما لها من خلفيات وأطر مرجعية محددة، وما يترتب على ذلك من خلاصات واستنتاجات على مستوى التأويل والفهم.

فالتنظيم الاجتماعي هو عملية تصميم الحياة الجماعية في مجتمع معين بما يشمله ذلك من وضع قيم وأهداف ومسترغبات عليا يهدف المجتمع لتحقيقها ثم تحديد الوسائل اللازمة لتحقيقها، ثم تشكيل أنماط سلوكية اجتماعية ثابتة نسبيا تحدد الأدوار والعلاقات الاجتماعية التي تسعى لتحقيق هذه الغايات النهائية مع مراقبة هذا الأداء السلوكي وضبطه [21] .ومن ثم فيمكن ببساطة شديدة القول بأن التنظيم الاجتماعي هو تكنولوجيا العمل الجمعي[22]. وعلى ذلك فهو يمثل الإطار الأشمل لكل من الأجهزة والبنى الاجتماعية .أما المؤسسات الاجتماعية فهي تمثل المركب المعياري والقانوني والعرفي و الطقوسي الذي يضبط السلوك الاجتماعي لتحقيق الغايات الاجتماعية التي ينص عليها التنظيم الاجتماعي. وتكون المنظمات الاجتماعية بذلك كيانات بنيوية محددة الأهداف والعضوية والأدوار التي تسعى إلى تحقيق أهداف اجتماعية فرعية بواسطة اجهزة اجتماعية أو بعض مكوناتها المرتبطة بالنشاط المباشر للمنظمة . وتكون المنظمة الاجتماعية أقرب الكيانات الاجتماعية لكونها كيانات محسوسة مرئية فهي تكون دائما في مستقر بنائي مادي، محتوية على أدوات وآلات وتكنولوجيات مادية مرئية، ويعمل فيها أفراد عضويون يشغلون أدوارها الاجتماعية.

إلا أن "ريتشارد سكوت"[23] " Richard Scott " يرى رأيا أكثر تعقيدا حيث يرى أن المؤسسات غالبا ما تكون منظمات .كما أن كثيرا من المؤسسات تتكون من نظم من المنظمات، فعلى سبيل المثال تعتبر "الرأسمالية" مؤسسة اقتصادية مبنية على قيم الحرية و التنافس و الفردانية لكنها في الواقع تتجسد من خلال عدة اشكال من المنظمات المالية، الإعلامية، السياسية، الإنتاجية. هذا بالإضافة إلى أن بعض المؤسسات تعتبر مؤسسات ورائية Meta institutions بمعنى أنها مؤسسات في حقيقة أمرها هي منظمات تنظم مؤسسات أخرى. فالدولة مثلا هي مؤسسة المؤسسات تتحقق أهدافها من خلال القيام بتنظيم مؤسسات أخرى سواء مؤسسات فردية أو جماعية .ومن ثم تقوم الدولة بالتنسيق بين النظم الاقتصادية والنظم التعليمية وغيرها من خلال التشريعات والقوانين الإجبارية.

---

**21** - Chanlat (J.F) : « l'Analyse sociologique des organisation ; regard sur la production Anglo-saxonne contemporaine 1970-1988 » . Revue sociologie du travail N° 3 1989. P 71 – 92 .

**22** - Bencheikh Touhami ,Construit sociale et innovation technologie ; Revue de sociologie du travail N° 9 1986. P 12 – 35 .

**23 - جامع محمد نبيل : علم الاجتماع المعاصر ووصايا التنمية، الإسكندرية . دار الجامعة الجديدة**. 2010. ص 03..

ومن ناحية أخرى نرى أن بعض المؤسسات ليست منظمات أو نظم من المنظمات كما لا تتطلب منظمات على الإطلاق. فعلى سبيل المثال يعتقد أن اللغة مثلا مؤسسة وليست منظمة. كما يمكن للغة أن تتواجد مستقلة عن أية منظمات تختص بها. كما هناك بعض النظم الاقتصادية كالمقايضة لا تحتوي على منظمات إطلاقا وإنما تحتوي على أفراد فقط. ومن ثم تمثل المؤسسات التي ليست منظمات نوعا محددا من الأنشطة الفردية المتبادلة مثل الاتصال والتبادل الاقتصادي التي تتم الأنشطة فيهما تبعا لبنيان من الأعراف كالأعراف اللغوية والأعراف النقدية والمعايير الاجتماعية مثل الصدق وحقوق الملكية[24].

و يتفق علماء الاجتماع على وجود مؤسسات أكثر أهمية من غيرها إما لأنها تدخل في تكوين جميع المؤسسات الأخرى مثل الدولة، أو لأنها تؤدي مهام حيوية مثل الأسرة وقيامها بمهام الإنجاب وتنظيم النسل والتنشئة الاجتماعية[25] .

على العموم، فإن ما يفهم من المؤسسة سوسيولوجيا هو أنها تشكل منظومة متكاملة من العناصر، أي الفاعلين الاجتماعيين، الذين تربطهم علاقات محددة، وأهداف مشتركة، ومعايير متعارف عليها في مجال السلوك والفعل وتقويم الإنجاز. ويميز التحليل السوسيولوجي في تكوين كل مؤسسة بين نمطين من التنظيم لا يمكن الفصل بينهما إلا على المستوى النظري المجرد، إذ تنتظمها على الدوام جدلية مسترسلة. فهناك، من جهة، تنظيم رسمي معلن. ويتجلى في مختلف القواعد والضوابط المعيارية و القيمية المنظمة والموجهة رسميا لكل مؤسسة. كما أن هناك، من جهة أخرى، تنظيما لا رسميا ضمنيا ويتمثل فيما يخلقه فاعلو المؤسسة، على هامش ضوابطها وتحديداتها الرسمية، من علاقات وأهداف ومعايير خاصة ومغايرة لما هو مصرح به.

وعلى اعتبار أن هؤلاء الفاعلين لهم رهانات ومصالح وأهداف تختلف باختلاف توجهاتهم وأنماط وعيهم الاجتماعي ومراجعهم وانتماءاتهم المتعددة، فإنهم يسعون، بفعل هذه المحددات وبوعي أو بدونه، إلى أن يبحثوا في تفاعلاتهم عن فرص لخلق المزيد من الانعتاق والتحرر من إكراهات المؤسسة و الزماتها القيمية / المعيارية، أي باعتبارها بنية فرعية داخل المجتمع العام الموسوم بكونه هو تلك المؤسسة الكبرى التي تنتظم وتترابط ضمنها كل المؤسسات الاجتماعية .إن هذه الخاصية السوسيولوجية المرتبطة بآليات اشتغال مكونات الفضاء المؤسسي هي ما يتيح إمكانية الحديث عن "الاستقلالية النسبية" (Indépendance Relative) للمؤسسة. هذه الاستقلالية التي تفند اي تصور قدري للمؤسسة يجعل منها مجرد مكان لإنتاج وإعادة إنتاج القمع والتشييء و الاستلاب، والتي تسمح بدل ذلك بالنظر إليها كأداة للتغيير والتحرر والثورة على صنمية البنى وجمودية الأفكار والمعارف والقيم والعلاقات والسلطات الاجتماعية. غير أن هذه المسألة تظل مرهونة بالكيفية التي يتم بها تدبير هذه الاستقلالية في الفضاءات الاجتماعية المختلفة، واستغلالها،

---

**24 - جامع محمد نبيل : علم الاجتماع المعاصر ووصايا التنمية، الإسكندرية . دار الجامعة الجديدة**. 2010. ص 05.

**25** - Menderas Henri , élément de la sociologie . Ed Armand colin. Paris .1967 P 73.

من طرف هذا الجانب أو ذاك، إما كمجال للفوضى والتسيب والاختلال الاعتباطي للقيم والمعايير، وإما استثمارها كإمكانية للخلق والإبداع والتخطي والتجاوز والتحرر.

## 2 - الخصائص و الميزات:

اذا كان هناك تداخل بين المؤسسة و بين التنظيم و البنية و النسق ، فكيف يمكننا تميز المؤسسة عن غيرها من اشكال التنظيم و الانتظام الاجتماعي ؟

في التمانينات من القرن العشرين، حاول علماء الاجتماع بفعل اعادة اكتشاف اعمال المشتغلين بالعلوم السياسية و القانون في بداية القرن، تكيف التحليل النظري و الابيستمولوجي للمؤسسة، بما يتماشى مع نتائج البحوث الميدانية، التي توصل لها الباحثين الانجلوسكسونين حول المؤسسة، خاصة ما تعلق بالمؤسسات السياسية. لقد ادرك علماء الاجتماع، انه بعيدا عن التصور و الفهم المجرد للمؤسسة ، فان ابحاث الميدانية بينت الامتدادات الاجتماعية للمؤسسة، لدرجة جعلتها سهلة الملاحظة انطلاقا من حدود لها واضحة لا جدال حولها، لقد جعلوا المؤسسة شيئا قابلا للوصف وممكن إدراكه كمكون للواقع الاجتماعي، لقد بينت الدراسات الميدانية، الوظائف الاجتماعية للمؤسسة، من خلال تركيزها على تحليل المؤسسات بدل التركيز على عملية التأسيس و المأسسة،

لعل اعمال "موريس هيريو" Maurice Hauriou هي تجسيد لهذا التوجه، لقد اسس، ضمن رؤية تطورية، "نظرية المؤسسة والتاسيس". بالنسبة له، فإن المؤسسة هي: "فكرة العمل أو المشروع، التي تتحقق وتستمر قانونيا في بيئة اجتماعية؛ لتحقيق هذه الفكرة، يتم تنظيم السلطة من خلال اجهزة ؛ ومن ناحية أخرى، من خلال أفراد المجموعة الاجتماعية المهتمين بتحقيق تلك الفكرة، هنا تتمظهر الشراكة المسيرة بأجهزة السلطة و المضبوطة بالإجراءات " و لهذا فهو يعرف الدولة بانها مؤسسة المؤسسات([26]) . و على خلاف النظرة الدوركايمية، فهو يعتقد ان المؤسسة ليست كيانا ابديا بالرغم انها تتطور ببطء إلا انها كيان تطوري يترعرع و يموت ، و لهذا فهو يصنف نوعين من المؤسسات " الحية " و " المتاصلة" . فالمؤسسات الحية هي نتاج لسيرورة مزدوجة : " التأسيس" و " الشخصنة " و لذلك فهو يميز بين المؤسسات التشيئية و المؤسسات المشخنصة "التعاضدية" و التي تتحول شيئا فشيئا بفعل الزمن إلى مؤسسات مستقلة و قبلية عن الافراد الذين ينتمون إليها بفعل التأسيس القانوني لوجودهم داخل المؤسسة. اما المؤسسات "المتاصلة " فهي المؤسسات التي تنتج عن التشريع القانوني الذي تقوم به المؤسسات الحية

**26** - Éric Millard, Hauriou et la théorie de l'institution, In: Droit et société, n°30-31, 1995. pp. 381-412.

في نفس المسعى تندرج دراسة "موريس ديفرجي " Maurice Duverger حول الأحزاب السياسية، تجسد هذا المسعى و التوجه الجديد في تناول المؤسسة، لقد اعتمد "موريس ديفيرجي" على تحليل عناصر الحزب السياسي باعتباره مؤسسة، من خلال دراسته لأليات التنشئة، العضوية، تسيير الاختلاف، اعادة الانتاج و التكيف مع اكرهات المحيط ، و لقد توصل إلى ان المؤسسات تعتمد في اداء وظائفها على تنظيمها الداخلي " إن أداء المؤسسة مرتبط ومحدد بتنظيميا الداخلي، فالبناء و التركيبة و الثقافة هي المحددة لوظيفتها وفاعليتها الاجتماعية ... هذا يعني وظائف المؤسسة محددة انطلاقا من تنظيمها الداخلي"[27]

بناءا على تصور "هوريو" و ديفرجي" يمكننا تميز المؤسسة في مجموعة من مميزات هي[28] :

1 - المؤسسة نسق / كيان اجتماعي : أي أن هناك مجموعة أفراد يعملون معا و يتفاعلون معا بصورة شبه مستمرة و منتظمة نوعا ما، أي تربطهم علاقات تتصف بالاستمرارية و أما كون هذا النسق / الكيان مفتوح فهذا يعني أن المؤسسة تتأثر بالبيئة الخارجية و تؤثر فيها.

2 - التنسيق الواعي : لأن هذا النظام يضم مجموعة أفراد لديهم مكانات و أدوار .(السلطة)

3 - للمؤسسة حدود شبه معروفة تميز من ينتمي له ، و من لا ينتمي إليه (ثقافة).

4 - أي مؤسسة تنشأ لتحقيق شيء ما و هو ما نسميه " الأهداف" التي يعجز الفرد عن تحقيقها بكفاءة أكبر بوساطة الجهد الجماعي .

5 - استمرارية المؤسسة ترتبط بتنظيمها الداخلي و بالنسق المعياري المستلهم من قيم العدالة و الشرعية.

اما خصائص المؤسسة فيمكننا تلخيصها في الوظائف التي تؤديها و هي :

**1** - وظيفة الشرعنة Légitimation كل أصناف القول/ الخطاب،/ الممارسة راسمة بذلك حدود الحقيقة واللاحقيقة، الصدق والكذب، الصواب والخطإ، والمعقول واللامعقول، العلمي واللاعلمي... ومحاولة وضع الشروط والقواعد التي من شأنها أن تجعل خطابا ما إما متسما أو غير متسم بمقومات ومواصفات المصداقية والمعقولية والثبات...مما يشكل مبررات معرفية لقبوله أو رفضه. وذلك في إطار "سياسة معينة للحقيقة" منبنية على "إبستيمية خاصة ومحددة" ومرتبطة بنسق معياري وسوسيوتاريخي متنفذ في الزمان والمكان.

**27** - Maurice Duverger, Sociologie politique, Ed. PUF. Paris 1973 . P 287.
**28** - Tournay Virginie : Sociologie des institutions, Ed PUF, Paris coll. « Que sais-je ? », 2011. P32 .

**2** - وظيفة توجيه وترشيد الممارسة الاجتماعية كواقع ممأسس، وذلك بكل ما تقوم عليه هذه الممارسة من قيم ورموز ومعايير وقواعد وعلاقات وتبادلات في الأدوار والمواقع والمهام...الخ. إن هذا الدور الإرشادي الذي أنيط بالمؤسسة هو الذي استمدت منه صلاحية التدخل للتمييز بين: المباح والمحظور، المقبول و اللامقبول، النافع والتافه، الحسن والقبيح...وذلك ضمن منظومة القيم السائدة في لحظة تاريخية معطاة، بكل شروطها وخصوصياتها المميزة.

**3** – وظيفة الطقوسية و الحفاظ على الطابع الطقوسي لعمليات الشرعنة و التوجيه ذلك ان الطقوس هي شرط العبور/ الانتقال من اللاشرعي إلى الشرعي، كما ان الطقوسية هي أساس استمرارية و تباث المؤسسة ، تبعا لخاصية التكرار و القدسية التي تتمتع بها لذى أعضائها. فالطقوسية هي الية من اليات الحفاظ و تجديد التماسك/ الاندماج بين أعضاء المؤسسة

**4** – وظيفة الاحتكار و المراقبة ، فالمؤسسة حسب مجال الذي تغطيه تحتكر الحقيقة و وما هو شرعي و ما هو مقبول في ذلك المجال، فالمؤسسات التربوية تحتكر و تراقب الشهادات و المعرفة ، و المؤسسات السياسية تحتكر القانون و القواعد المنظمة، و المؤسسات الدينية تحتكر المعتقد و الديني.... إلخ و كل مؤسسة تحتكر مجالها من خلال سن القواعد و الطقوس المنظمة لمجالها. وكلما كان احتكار المؤسسة لمورد او لعنصر مهم كلما زادت قوتها و سلطتها . وبتالي الهيمنة التي تمارسها

**5** – وظيفة التنظيم و حفظ النظام، من خلال حفظ و تنظيم العلاقات التي بين أعضائها من جهة و التي بينها و بين المؤسسات الأخرى من جهة أخرى ، فالمؤسسة شرط تنظيم الصلات الاجتماعية و بتالي اشتغال النظام الاجتماعي ككل.

### 3 - المقاربات السوسيولوجية للمؤسسة :

على الرغم من ان علماء الاجتماع –كما بينا سابقا- تحدثوا كثيرا و طويلا عن " المؤسسات الاجتماعية" فان هذا المفهوم يفتقد الدقة و التوحد في الاستعمال ، و ان كان يستعمل بوجه عام للدلالة على مظاهر السلوك الاجتماعيالمنتظمة بمعايير و قيم و قوانين تتصف بالرسوخ القوي، وسهولة التعرف عليها، و الثبات النسبي. و السبب في تعدد الرؤى و الاستعمالات يكمن في تعدد الاطر و المنطلقات النظرية التي تناولت المؤسسة كموضوع ، لذا سوف نتناول في هذا العنصر اهم المقاربات النظرية التي تناولتها .

### 3 – 1 المقاربة البنيوية :

تنطلق البنيوية من مبدأ نظري هو أنه من الممكن اعتبار الكثير من جوانب الحياة الاجتماعية و الانسانية و تمظهراتها المتعددة و المعقدة هي في الحقيقة تجسيد لانتظام ordre ظاهر ( المنظمات) او خفي رمزي ( الثقافة...)،و هذا الانتظام يسميه البنيويون بالبنية، و منه فهم ينظرون للواقع الاجتماعي كبنى ذات

مغزى أو دلالة آلية و مستقلة [29]، ولهذا فإن تحديد الموضوعات التي يتم دراستها لا يكون حسب الخواص الملازمة لها ، بقدر ما يكون وفقا للعناصر المكونة لهذه البنية و لعلاقاتها بـ / واختلافها عن العناصر الأخرى. أي ان البنية هي ذات استقلال داخلي تحدده العلاقات الداخلية التي بين مكوناتها وذلك بمعزل عن طبيعة المكونات ذاتها .

ومنه البنيوية ترى البنية كهيكل يستمد استقلاليته و سمته من خلال ارتباط الوحدات المكونة له بوصفها تمثل كلا قائما بذاته. فهي أشبة شيء برقعة الشطرنج التي لا تتحدد قيمة قطعها بمادتها المصنوعة منها وإنما بمواقعها و علاقاتها مع غيرها من القطع في الرقعة . فالقطع لا يكون لها معنى إلا من خلال ارتباطها بالقطع الاخرى .

هذا يعني أن البنى هي الكينونات المجردة التي تتكون تبعا لمجموع العلاقات التي تكون بين أجزائها .وهذه العلاقات هي التي تعطي للبنية طبيعتها وشكلها و مسارها [30]. وفق هذا التفسير و الرؤية فان العلاقات الموضوعية التي تجمع بين الوحدات ( الافراد) تتحول بمرور الزمن و بفعل تنظيمها ضمن اطر السلطة إلى كيانات رمزية تمارس هيمنتها على الوحدات بدون وعي منهم. "ان البنى التي تكوّن القواعد المعقدة والخفية للمجتمع يعود اصلها الى العقل وهي تعمل في دواخلنا بدون وعي منا"[31]. أي ان العلاقات تتحول بفعل السلطة إلى منظومة معاني مستقلة عن العالم الخارجي و سابقة عليه من جهة ، و عن الذوات الإنسانية من ناحية أخرى.

يسمي " كلود ليفي شتراوس" *Claude* Lévi-Strauss هذه المنظومة "بالنظام المعرفي" الذي يحيل إلى تكوينات كامنة ،خفية، معقدة، واعية وغير واعية، شعورية وغير شعورية، حاكمة للسلوك و الفعل، كما يحيل لنظام مركب من مشاعر وأفكار و تمثلات وقيم و تصورات... التي تجعل جماعة تتصرف إزاء وضع أو حالة على نحو معين، وتنظر إلى العالم برؤية خاصة، وتحكم و تقدر الوجود و وجودها بشكل محدد يفرضه ذلك النظام بمؤثراته المختلفة.

ولو حاولنا أن نحدد الجوانب الأكثر وضوحا في هذا النظام الخفي، علينا أن نميز في مفهوم النظام المعرفي هذه المستويات:

---

**29 - إبراهيم ، زكريا، مشكلة البنية أو أضواء على "البنيوية"، دار مصر للطباعة، الفجالة ، 1980 .ص 17**

**30** - Bernard Billaudot, « Institutionnalisme(s), rationalisme et structuralisme en science sociale » Économie et institutions [En ligne], 4 | 2004, mis en ligne le 31 janvier 2013, consulté le 10 décembre 2020. URL : http://journals.openedition.org/ei/791 ; DOI : https://doi.org/10.4000/ei.791

**31- إبراهيم ، زكريا، مشكلة البنية أو أضواء على "البنيوية"، دار مصر للطباعة، الفجالة ، 1980 .ص 18.**

- منطلقات التفكير التي يعتمدها الفرد في تحليل معطيات الوجود.
- منظومة التصورات والمفاهيم والعقائد التي تشبع بها الفرد وتبلورت في أعماقه بصورة لاشعورية.
- آليات السلوك وأنماط الاستجابات الحياتية التي يعرف بها الفرد أو الجماعة.
- النزعة الداخلية التي تحرك الإنسان لاتخاذ موقف من عناصر الكون على نحو كلي.

وعليه فان البنيوية ترى ان المؤسس l'instituant لكل مؤسسة هو هذا النظام المعرفي الذي يعطي لكل بنية طابعها المجرد و المطلق ، و يؤسس لوجودها المستمر و الثابت. يرى لفي ستروس ان ما يميز الاجتماع الانساني و يعطيه خصوصية وجودية هو امتلاك الانسان للقدرة على تجريد الأشياء وإنشاء الرموز وشبكة المعاني، فالعيش بالرموز وتوظيفها هي فعالية إنسانية بكلّ امتياز، بها يعيش المجتمع ويؤثث وجوده ويبني عالمه المادي والمعنوي ويرسي نظام الأشياء والعلاقات .ودلالة الأشياء والعلاقات لا تدرك إلاّ من خلال استعمالاتها وممّا تتضمّنه من معنى في حياتهم وممّا تتخذه من دلالة في متخيّلهم الجمعي وإن الفرد يتقيد بضوابطها دون أن يشعر بذلك على اعتبار أن العقل البشري مسلّح بهذه المعرفة ومزود بها فطريا، كما أن له استعداداً قويا –ولا بدّ من ذلك- لتقبلها[32]، لذلك فان الاسرة في نظر البنيوية هي مؤسسة ، المستشفى مؤسسة أيضا، الجمعية، فريق كرة القدم ، منظمة طلابية ...إلخ.

وفق هذا الفهم وضع لفي ستروس نظريته للثقافة من خلال دراسة العلاقة القائمة بين مكوناتها و التي حددها فيما يلي :

التبادلية ← القرابة
الأسطورة ← الرؤية
الطقوس ← السلطة

فالثقافة هي مؤسسة الام لأنها تنظم عملية الانتقال من الطبيعة إلى الحضارة بوصفه انتقال من النيئ إلى المطبوخ ومن العري إلى التبادلات التجارية .انها اصل تمثل القواعد و المعايير الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والجمالية. وهي تحتكم بالنسبة لليفي ستروس لنفس القواعد في كل المجتمعات ، فوراء تنوع الثقافات توجد وحدة نفسية للإنسانية، إذ هنالك عناصر أساسية مشتركة للإنسانية، والحضارات لا تقوم إلا بتركيب هذه العناصر المشتركة في تشكيلات مختلفة. ولذلك نلاحظ بين الثقافات البعيدة عن بعضها البعض تشابهات وهي تشابهات لا تُعزى بالضرورة إلى التواصل او الانتشار الثقافي و انما

32 - أحمد زايد، النظريات الكلاسيكية والنقدية، دار نهضة مصر، مصر: القاهرة، ط 1، 2006

لاشتراكها في نفس المحددات , فمثلا الاسرة التي تعد المظهر الحقيقي للنظام القرابي موجودة في كل المجتمعات و قواعدها هي تقريبا نفسها في كل المجتمعات . لعل أهمها تحريم زواج المحارم (الزواج الداخلي والخارجي والتفضيلي والأحادي والمتعدد) وضبط قانون التبادل.

### 3 – 2 المقاربة الوظيفية :

ترى الوظيفية المؤسَّسة كنسق اجتماعي يحتوي على مجموعة من الاجزاء المتكاملة بنائيا والمتساندة وظيفيا غايتها تحقيق اهداف النسق ذاته. و النسق غالبا ما يستخدم بشكل غير محدد كمرادف للبناء الاجتماعي، و من ثم فان "النسق الاجتماعي" يدل على الصلات الغائية او الموجهة نحو هدف ، يتصف بانه الي التنظيم و محافظ على نفسه من خلال توفير متطلبات وجوده وهي التكيف و تحقيق الهدف و التكامل و تدعيم النمط.

ومنه تنظر الوظيفية للمؤسسة كأحد الأنساق الهادفة لتوظيف النشاط الإنساني لتحويل المدخلات إلى المخرجات الناتجة عن التفاعل داخل ذلك النسق. بمعنى ان المؤسسة هي مجموع العمليات التي تنتج القيم و المعايير و الاطر الفكرية و اللغوية للفعل. فحسب "بارسونز " Talcott Parsons أي مجتمع ، أي جماعة، أي منظمة ، هو نسق متكامل من العناصر التي تؤدي وظيفة تساهم في صيانة النسق ، ولكي تقوم هذه العناصر بأداء وظيفتها بفاعلية يجب توفر شرط إجماع أعضائه حول القيم والمعايير الأساسية ، واي اختلال في تلك المعايير و القيم الاساسية يؤدي إلى ظهور نقاط توتر و صراع ينتج عنه اختلال وظيفي (33).

في الواقع ان هذا التصور و الفهم الوظيفي للمؤسسة ، يدرجه "بارسونز" في اطار اعم هو البناء الاجتماعي الكلي ، فالمجتمع يتكون من خمسة انساق كلية هي : السياسية، الدين، الاقتصاد، التربية و الاسرة . و كل نسق كلي يحتوي بداخله انساق فرعية تعمل على الحفاظ عليه ، و هذه الأنساق الكلية تقوم بدورها بالحفاظ على البناء الاجتماعي أي المجتمع ككل .

33 - Jean-Claude Lugan , La systémique sociale, Collection : que sais-je .Ed PUF. PARIS .2009. PP51-67.

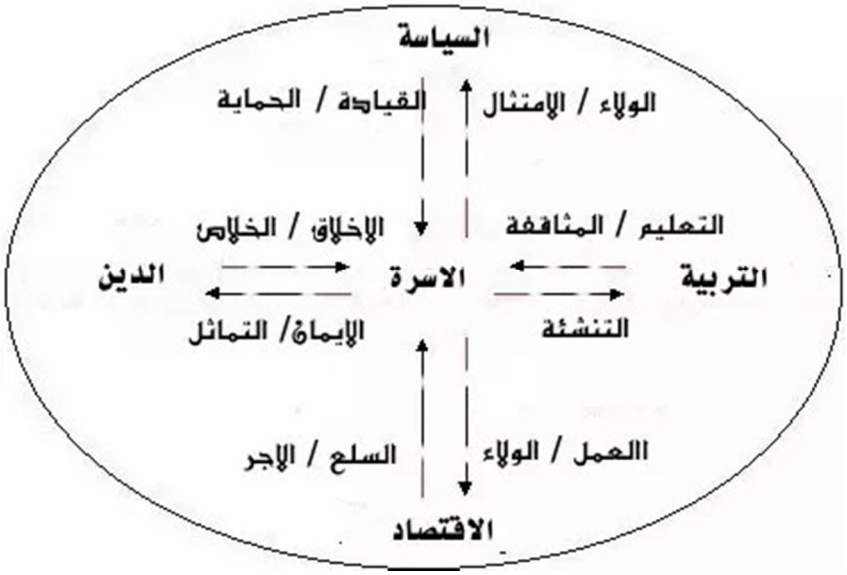


و منه فالمؤسسة في التصور الوظيفي كما بناه " بارسونز" هي الالية التي تصبغ صفة الديمومة على البناء الاجتماعي، باعتبار انه يربط بينها و بين الحاجات الأساسية للوجود الانساني، و ذلك من خلال نموذج تنظيمي محدد و مرتبط بشكل وثيق بمشاكل أساسية أو بحاجات مجتمع أو بأحد أهدافها. اولها ضمان الثبات والاستقرار داخل المجتمع. و لكي يتحقق ذلك تشترط الوظيفية وجود اجماع consensus على قيم مشتركة حول القوة التي يرى انها اذا كانت توزيعية فإنها تؤدي إلى التوتر أما اذا كانت القوة التجميعية فان ذلك يؤدي إلى الاستقرار و الثبات.

في المقابل نجد " روبرت ميرتون" R, Merton على عكس " بارسونز" يؤكد على اهمية درجة التطابق بين الأهداف الثقافية السائدة في المجتمع، والمعايير المستخدمة كوسائل مشروعة لتحقيق تلك الحاجات و الأهداف. وهو بذلك يميز بين الأهداف الثقافية والحضارية من جهة، والقيم والمعايير الناظمة لتحقيق تلك الأهداف من جهة أخرى وعلى أساس ذلك يصبح تحقيق الهدف على غاية من الصعوبة ما لم تتطابق معه المعايير والقيم المستحدثة لتحقيقه، وتناسبه على نحو كامل.

وتأسيسا على ذلك، اعتقد "ميرتون" أن للمعايير والقواعد ، وأنماط السلوك المرتبطة بها وظائف مختلفة، يرتبط بعضها إيجابيا بتحقيق تلك الأهداف، بينما يرتبط بعضها الآخر سلبيا. ويستخدم "ميرتون" في هذا الإطار ثلاثة مفاهيم أساسية للتحليل هي: الوظائف الكامنة، أو غير المتوقعة، مقابل الوظائف الظاهرة. ثم المعوقات الوظيفية مقابل الوظيفية، وأخيرا البدائل الوظيفية. ويذهب "ميرتون" إلى أن المجتمع قادر على العمل بحكم شكل التنظيم الذي يتخذه، وبذلك تقوم النظرية الوظيفية حسب رأي "ميرتون" على أساس الوحدة الوظيفية للمجتمع، فكل العناصر ضرورية بالنسبة إلى المنظومة، بصرف النظر عن طبيعة وظيفتها.

وفق هذا التصور فان "ميرتون" يختلف في تفسيره للسير و ديمومة المؤسسات و التنظيمات الاجتماعية، فاذا كان "بارسونز" يعتقد ان خاصية البحث الدائم للأنساق عن التوازن هو الذي يحقق الثبات و الديمومة، فان "ميرتون" بين من خلال تقرير له بعنوان "البناء البيروقراطي والشخصية"[34] في سنة 1940 . كيفية تأثير مدى الالتزام الافراد بالقيم والمعايير والقواعد على تصرفهم وسلوكهم الاجتماعي ومنعكسات ذلك على سير عمل التنظيم نفسه." لقد رأينا أن الهيكل البيروقراطي، الذي يمارس ضغطًا مستمرًا على الموظف ، يتطلب منه أن يكون ممنهجا وحذرًا ومنضبطًا. لذلك ، في البيروقراطية الحقيقية ، يكون المرء في وجود انتظام كبير في السلوك ودرجة عالية من الامتثال لأنواع العمل المحددة. ويترتب على ذلك إعطاء أهمية أساسية للانضباط ، كما هو مطور في بيروقراطية دينية أو اقتصادية مثل ما هي في الجيش ،[35]

و قد انطلق من مفهوم الضبط الذي تمارسه المستويات الرئاسية العليا في التنظيم لتحقيق أهدافه النوعية التي تختلف بين تنظيم وآخر تبعا لطبيعة النشاط الذي يقوم به كل تنظيم. ولا تستثنى من ذلك المنظمات السياسية على اختلاف أشكالها، والتي يمثل التنظيم البيروقراطي الأساس فيها.

إن المستويات الرئاسية العليا في كل تنظيم ( السلطة)، كما يرى "ميرتون" تمارس أشكالا مختلفة من الضبط بغية تأكيد المحافظة على السلوك داخل التنظيم والتنبؤ به وضمان تحديد المسؤوليات والاختصاصات التي يحقق أي تنظيم من خلالها أهدافه ومساراته، وتقوم هذه الممارسات على إجراءات مقننة تتخذ باستمرار طابعا مؤسساتيا. ويترتب على ذلك ثلاث نتائج أساسية تخص طبيعة العلاقات داخل التنظيم يلخصها "ميرتون" على الشكل التالي[36] :

- تضاؤل العلاقات الشخصية ، باعتبار ان التنظيم يقنن لعلاقات قائمة بين الوظائف والأدوار، وان الفرد / العضو في كل موقع يقيم صلاته مع الآخرين على أساس الموقع الذي يشغله في التنظيم.
- يزداد استيعاب أعضاء التنظيم بصورة مستمرة لقواعده ومعاييره. ذلك أنهم في بداية الأمر لا يعرفون بصورة كاملة هذه القواعد والمعايير، غير أن ممارسة الضبط، واتخاذ الإجراءات المستمرة لضمان فعالية الأعضاء يجعل هؤلاء أكثر استيعابا لمعايير التنظيم وقواعده إلى درجة يسميها "ميرتون" بمرحلة استبدال الأهداف، حيث تصبح هذه المعايير أهدافا بحد ذاتها، بعد أن كانت في الأصل وسائل لتحقيق

---

**34- تم الحصول على الفكرة و ليس النص الكامل من :**

Pierre Maclouf, « Fonctionnaires au Travail : bureaucratie et personnalité au ministère du Travail dans la période de son cinquantenaire », *Travail et Emploi*, 110 | 2007, 47-75.

**35 -** Merton, R. , Eléments de théorie et de méthode sociologique, traduit par Henri Menders 1953 Ed, Plon. Paris,3eme edition 1965. P 142.

**36** -Pierre Maclouf, « Fonctionnaires au Travail : bureaucratie et personnalité au ministère du Travail dans la période de son cinquantenaire », *Travail et Emploi*, 110 | 2007, 47-75

بعض الأهداف.

- ❖ يعتمد التنظيم معايير أساسية في اتخاذ القرارات، ويستخدم في سبيل ذلك مقولات ( أفكار، معتقدات، قيم) محددة تختلف باختلاف درجة إمكانية تطبيقها، ودرجة ملاءمتها لسير التنظيم. ومع تحديد تلك المقولات ينخفض الاهتمام بالبحث عن البدائل، وتسهل عملية اتخاذ القرار.

و منه حسب "ميرتون" تؤدي الإجراءات المستمرة التي تتخذها السلطة في التنظيم، وفي إطار ممارستها لعملية الضبط إلى تحديد الاختصاصات، وتوزيع الوظائف على نحو بكفل التضامن بين النشاطات، وفي ذلك تكمن الوظائف الظاهرة للنسق. غير أنه تظهر إلى جانب ذلك وظائف لم تكن متوقعة، وهي تحوّل القواعد من وسائل لتحقيق أهداف نوعية محددة إلى أهداف بحد ذاتها، وهذا ما يسميه "ميرتون" باستبدال الأهداف.

وتنجم عن ذلك بالمقابل معوقات وظيفية لهذه القواعد يلخصها "ميرتون" في تقديس النمط السلوكي، وتصلبه و تحوله إلى طقوسية ، الأمر الذي يحد من استجابة و تكيف أعضاء التنظيم لمتطلبات عملهم ، وينمي بينهم مشاعر العزلة عن العامة من الناس الذين يتعامل معهم التنظيم. هنا يصبح التنظيم مدفوعا للبحث عن بدائل وظيفية تضمن له سيرورة عمله، وهذا ما يجعله يبحث عن مقولات جديدة عملية قابلة للتحقق.

### 3 – 3 المقاربة الصراعية:

تضم هذه المدرسة مختلف التيارات النقدية و الراديكالية التي دأبت على نقد الواقع الاجتماعي في الدول الغربية ، من أجل مجتمع أكثر عدلا وفق رؤيتها. وكرائدة لهذا التيار، لعل اشهرها مدرسة فرانكفورت، وهي تضم مجموعة من المثقفين اليساريين ذوي النزعة الماركسية الجديدة، ظهرت في أوائل الثلاثينيات من القرن 20 ، "كنظرية نقدية للمجتمع "، بحيث عمل أعضاؤها على الاهتمام بفحص أشكال الحياة الاجتماعية ونقدها، والبحث في أصولها وجذورها، والمصالح التي تعبر عنها، والمعارف التي ترتبط بها، والمشكلات التي تنشأ فيها. و هي النظرية التي تؤكد دور الصراع في المجتمع ، لكن على خلاف رؤية "كارل ماركس" الذي يحدد الصراع في التمايز بين الذين يملكون وسائل الانتاج و الذين لا يملكونها ، يرى رواد النظرية الصراعية أمثال "رالف داهرندورف" R. Dahrendorf و " لويس كوزر" L. Coser انه رغم ما يصاحب الصراع من إمكانية تدمير النظام الاجتماعي ، إلا ان في مقدوره في بعض الأحيان أن يعمل للحفاظ عليه ، فالصراع في غالب الأحيان يقع في إطار قالب من الاتفاق الاوسع، كما انه قد يعمل كصمام امان او كمصدر لحالة من التوتر الخلاق الذي قد يؤدي فعلا إلى تقوية و تعزيز التنظيم الاجتماعي .

لقد سعت النظرية الصراعية ، لإعادة تأصيل و فهم و تبيان وظيفة الصراع في سير المؤسسات الاجتماعية، مركزة اهتمامها على دور صراع المصالح والأهداف الشخصية والجماعية داخل المجتمع. "

فالصراع يتخذ أشكال وأنواع مختلفة، وأن طبيعته تختلف من مجتمع لآخر، كما أنه يحدث نتيجة لعدم الاتفاق حول طريقة تقسيم الموارد المادية التي يتوفر عليها المجتمع"[37] . و بتالي فهي تربط الصراع بالقوة فهي " من أكثر النظريات السوسيولوجية، اقترابا من مفهوم القوة. بحثا وتحليلا ونقطة انطلاق، فالصراع كعميلة اجتماعية تجري حتما بين قوى مختلفة، متساوية أو متباينة في حجمها وقدرتها بل إن الموضوعات الاجتماعية التي يناضل الناس من أجلها ويكافحون (كالثروة والمال والجاه.. ) .هي أساسا مصادر للقوة ومرتكزات أساسية لاكتسابها، ولذلك فإن صراع القوة كما تظهره نظرية الصراع، يعتبر جوهر لدينامية في الحياة الاجتماعية، وأساس التغيرات فيها"[38].

فالمؤسسات تبعا لخاصية التدرج و التراتبية المقننة، هي تجسيد للامساواة بين الأفراد والجماعات ولهيمنة إحداها على الأخرى، باعتبار انها تعطي السيطرة على مصادر القوة لفئة معينة مهيمنة على باقي الفئات المهيمن عليها بشكل لا يمكن تغيره إلا بإحدى الطرق الأكثر دموية ، "فأينما وجدت القوة والهيمنة وجد الخضوع والاستغلال"([39]) إن هذه السيطرة والقهر هو ما يجعل من المؤسسات الاجتماعية متسقة، كما أنه هو أيضا الذي يدفع للتمرد والتغيير والاجتماعي لإعادة تقسيم القوة وتمركز السلطة، فالصراع دائما ما ينشأ بين مواقع السيطرة ومواقع الخضوع ، يحدث عادة صراع بينهما نتيجة لوجود حالات من عدم الرضا حول كيفية تقسيم الموارد المادية مثل: السلطة والدخل والملكية. وأيضا لوجود "ما يسمى بـ "الرموز الثقافية"[40] وهو نوع من الأسباب التي تؤدي إلى انسجام بين البشر أو إلى خصام. والخصام في هذا السياق قد يتجلى في الاختلاف على مفهوم السلطة الشرعية.

و منه ترى النظرية الصراعية ان المؤسسات الاجتماعية تتألف من جماعتين واحدة مسيطرة والأخرى خاضعة باسم الطبقة الاجتماعية، العرق، الأثنية، الجندر ، والعمر ، وهذا الوضع المرهون بالقوة والسيطرة سيدفع بالجماعة الخاضعة إلى التمرد، ويتم ذلك بأن يتبلوروا في جماعات على شكل أحزاب أو نقابات تحدد أهدافها وتعلن عن مصالحها استعدادا للدخول في تمرد اجتماعي ضد الجماعة المسيطرة، يفضي إلى تنظيم اجتماعي جديد يكون أرضية لصراع لاحق، وهكذا يتم الأمر بطريقة جدلية .

---

**37 -** Étienne ARCQ, « Conflits, violence et concertation sociale » *La Revue nouvelle*, vol. 01 novembre 2013, p 82.

[38] - **الحوراني. محمد عبد الكريم، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع ، دار المجدلاوي للنشر ، عمان ،**2008 **، ص** 87 .

**39 -** Rivière, Claude. "POUR UNE SOCIOLOGIE DES CONFLITS." *Cahiers Internationaux De Sociologie*, vol. 62, 1977, P 9. *JSTOR,* www.jstor.org/stable/40689780. Accessed 24 Jan. 2021.

**40** - Ibid. P 12.

### 3 – 4 المقاربة التفاعلية :

تعتبر هذه المقاربة أن المجتمع هو نتاج التفاعل اليومي بين الأفراد . فالمجتمع ليس إلا الواقع المشترك الذي يبنيه الناس بأنفسهم عندما يتفاعلون مع بعضهم البعض . فالبشر يعيشون ضمن عالم من الرموز ، ويعطون معنى لكل شيء، و بتالي فالأشخاص/ الفاعلين هم من يخلقون واقعهم "الواقع الحقيقي" بشكل يومي عندما يعرّفون ويتعرفون على محيطهم . وهم من يقرر كيفية رؤيتهم ونظرتهم للآخرين عندما يشكّلون و يعيدون تشكيل هويتهم.

و تقف التفاعلية الرمزية، معارضة لكافة تقاليد علم الاجتماع من حيث التنظير دون الانغماس المباشر اللصيق بالظواهر التي تقوم بالتنظير لها. فروادها يفضلون العمل و البحث الامبريقي . فحسب رايهم هو السبيل الوحيد الذي يستطيع الباحث السوسيولوجي من خلاله استعاب المعاني المميزة التي يقيمها البشر في مواجهاتهم الاجتماعية ، فالمعاني هي موضوع علم الاجتماع، بالرغم ان التفاعلية تقر بان تلك المعاني ليست ذات صفة العمومية، او ثابتة ، او مطلقة، و انما هناك ازدواجية في المعنى، و التي تتحول عبر الزمان (التاريخ) و المكان ( الاكولوجيا) و الثقافة. و بهذا فان النظرية تشجع بدرجة قوية على دراسة العمليات دون البنى الجامدة.

و منه تناولت التفاعلية المؤسسة من زاوية مغايرة تماما للنظريات الأخرى ، فهي تنطلق من افتراض ان البشر يمتلكون ذوات تجعلهم قادرين بصفة دائمة على القيام بدور الاخر و على رؤية انفسهم من خلال عيون الاخرين، وبغير هذه القدرة ينهار الاتصال البشري ،و بها ينهار النظام الاجتماعي. لذلك فاغلب المشتغلين بها يرون ان المؤسسة متجذرة بعمق في قلب التفاعلات اليومية التي هي نفسها تعيد انتاج المؤسسة، مثل علاقات التربوية التي تعيد إنتاج المؤسسة التعليمية ، او العلاقات الدينية التي تعيد انتاج المؤسسة الدينية . على الرغم من أن "غوفمان" قد اشار وحلل أطر التفاعل ومنطقها من خلال تجسدات الجسد و تقديم الذات . لكن في الحقيقة ان " جيدنز" Giddens هو الذي وضح بشكل جلي أهمية الروتين و التكرار في هيكلة المجتمع، لا سيما فيما يتعلق بالتفاعلات ، وهذا على الرغم من خاصية العفوية و اللحظية المميزة للتفاعل الإنساني. "إن ثبات الأشكال المؤسسية لا يمكنه ان يكون بدون اللقاءات ( تفاعلات) التي تحدث في مجرى الحياة اليومية ، كما انه لا يوجد خارج تلك اللقاءات ؛ بل على العكس من ذلك ، فإن هذه الأخيرة " التفاعلات" تحتوي على الثبات وتساهم في إعادة انتاجه "[41]، " إن روتين اللقاءات / التفاعلات يساهم بطريقة حاسمة في ربط لقاء / تفاعل عابر و مقتضب بإعادة انتاج الاجتماعي

**41** - Giddens Anthony, La constitution de la société ,Ed, PUF, paris, coll. Sociologies, 1987. 118.

وبالتالي بالثبات الواضح للمؤسسات".[42] وهذا من خلال تحيين المعاني عبر اللقاءات و التفاعلات (الحديث) اثناء المحادثات اليومية.

وهكذا ترى التفاعلية ان التفاعلات اليومية ، تساهم في التجديد المؤسس instituant ( المعاني و الرمزية) وتحيين المؤسس l'institué ، من خلال تجديد الكيان الرمزي والاجتماعي للمؤسسة. أي ان الاجتماعي هو في الأصل عملية ، أي أنه ينشأ من النشاط اليومي لأعضاء المجتمع ، كل شخص لديه ترسانة من المعرفة المشتركة من المفردات ، المعاني ، الصور الذهنية التي يتم إعادة تنشيطها في التفاعلات الاجتماعية. وهكذا ، طورت هذه الأساليب مفردات كاملة عن الأداء الاجتماعي ، والتي تم تكييفها بعد ذلك للتحدث عن القوة و السلطة كممارسة مبنية اجتماعياً. تفهم القوة هنا على أنه فعل ، مجموعة من الممارسات التي تأخذ معنى في سياقات تاريخية واجتماعية ومؤسسية معينة ، والتي من خلال التفاعلات اليومية تصوغ هويات الأفراد ، وعلاقتهم ببعضهم البعض ، تماما كما تشارك في تحقيق أو عدم تحقيق أشكال معينة من الامتيازات. ولذلك فإن التركيز ينصب على عمليات إعادة إنتاج الوضع وعدم المساواة من خلال العمليات التنظيمية وعلى أساليب التفاوض والمقاومة.

**42** - Ibid. p 122.